الحركات ووظيفتها في اللغة العربية
مقاربة صوتو تركيبية

Diacritics and its function in the Arabic language Synthetic approach

الأستاذة الدكتورة فوزية سرير عبد الله

Serierfouzia@yahoo.com

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة البليدة2 /الجزائر

تاريخ الإرسال: 2018-07-11 تاريخ القبول: 07-02- 2019

الملخص:

صنّف متقدّمو العربية الحروف إلى نوعين حركات وسواكن، واستأثر النوع الثاني بالدراسة حتى ظنّ بعض المحدثين أنّ الأوائل لم يضعوا حدودا فاصلة بين الصنفين، وذهب بعضهم الآخر إلى أبعد من هذا فينفي أن يكون الموروث العربي القديم يحوي دراسات جادّة للحركات، في حين يرى آخرون عكس هذا، وللفصل في المسألة نتساءل: ما الحركة؟ وما وظيفتها في اللغة العربية؟ والإجابة عن هذه الإشكالية تقودنا إلى الحديث عن الحركات العربية، وعلاقة الحركات بالحروف، وبعض الوظائف التي تؤدّيها كلّ من الحركات ونظائرها من الحروف.

الكلمات المفتاحية: الحركات، الحركات القصيرة، الحركات الطويلة، الإشباع، الإشمام، الروم، الاختلاس.

Summary:

The Arabic letters vary in two types, consonants and vowels, Some Contemporary Researchers thought that the ancient Arabic Did not put a boundary between the two classes, and some of them went further than this, denies that the ancient Arab heritage contains serious studies of vowels, while others see this reversal.

To clarify this, we ask the follow question, what is the movement? What is its function in the Arabic language?

To answer this problem leads us to talk about Arab vowels, the relationship between vowels and letters, and some functions performed by both sounds and their equivalents of letters.

Keywords: *short Vowel - long Vowel –Ichba- AL- ichma-Al-rawm - Al-ikhtilas.*

مقدمة:

تباينت آراء الدارسين المحدثين حول دراسة متقدّمي العربية للحركات، بين معترف بالجهود الذي قدّمه هؤلاء، وبين نافٍ لوجود أدنى محاولة للمتقدّمين للتعريف بهذا النوع من الأصوات[1]، بالرغم من أنّ الحركة هي تقليد عربي أصيل، فهي السبب في نشأة الدراسات اللغوية العربية، وإذا حاولنا تقديم تصوّر لمسيرتها، نجد أنّها مرّت بثلاث مراحل نوردها فيما يأتي:

1-حدّدها أبو الأسود الدؤلي في نقط المصحف.

2-درسها النّحاة على أنّها أصوات تدخل في البنية الرئيسة للكلمة.

3-خصّها (ابن جني) بالدراسة في كتابه سرّ صناعة الإعراب.

وللفصل في الآراء المتباينة التي ذكرنا وإجابة عن الإشكالية التي مفادها:

ما الحركة؟ وما وظيفتها في اللغة العربية؟

نقدّم هذا البحث الذي نعرض من خلاله بعض ما قدّمه متقدمو العربية من آراء حول الحركات في اللغة العربية.

فرضيات البحث: للإجابة عن هذا السؤال اعتمدنا فرضيتين هما:

1-يخلو البحث العربي القديم من دراسة جادّة للحركات.

2-لا وظيفة للحركة في اللغة العربية.

سبب اختيار الموضوع: لقد اخترنا هذا الموضوع بغية إبراز العلاقة بين نوعي الحركات القصير والطويل، وإظهار الدور الفعّال لهذه الحركات على المستوى الصوتي والدلالي.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في التعريف بآراء المتقدمين في الحركات على اختلاف أنواعها في اللغة العربية.

أهداف البحث: من الأهداف التي نصبو إلى تحقيقها نذكر:

-تحديد الصفات المائزة بين أنواع الحركات في اللغة العربية.

-ذكر بعض الوظائف التي تقوم بها الحركات في اللغة العربية.

منهج البحث: استخدمنا المنهج الوصفي الذي نصف من خلاله الحركات العربية بأنواعها المختلفة، وقد لجأنا في كثير من المواضع إلى آليتي التحليل والاستنتاج.

1- تعريف الحركة: الحركة في اللغة ضدّ السكون وهي انتقال لجسم من مكان إلى مكان آخر أو انتقال أجزاء منه".[2] والحركة في اصطلاح علماء الأصوات هي: كيفية عارضة للصوت، وهي الضمّ والفتح والكسر ويقابلها السكون.[3]

ومن هذا التعريف نستنتج أن مصطلح (حركة) خصّت به الفتحة والكسرة والضمّة لا غير.

2-التسمية: تعبّر الحركة عن تقليد راسخ الجذور في الدرس اللغوي العربي، لأنّها السبب الذي انطلقت من أجله الدراسات اللغوية، فبعد أن كاد اللّحن يسري إلى هذه اللغة، اخترع أبو الأسود الدؤلي[4] النقط الذي يمثّل الحركات الثلاث الفتحة والكسرة والضمّة، وهكذا كانت الحركة النواة الأولى لبداية التفكير الجدّي لدراسة اللغة العربية، "ويلحظ أن تسمية هذه الحركات مبني على حركة أعضاء النطق، لأنّ من أراد أن يتلفّظ بالفتحة، فلابد من فتح الفم، وانتصاب الشفة العليا، ومن أراد التلفّظ بالكسرة فعليه فتح الفم فتحا قويا بحيث ينجرّ اللحي الأسفل وينخفض، ومن أراد التلفّظ بالضمة فلابد له من ضمّ شفتيه أولا ثم رفعهما ثانيا"[5].

أما عن سبب اختيار مصطلح "الحركة" للدلالة على هذا المفهوم فقد استنتج أحد الباحثين المحدثين من قول (ابن جني): "الحركة تقلق الحرف فتزيحه من موضعه."[6] "أنّها سميت حركات لتأثيرها على الحرف

فتزيحه من موضعه ومستقرّه. وكأن دخول الحركة على الحرف يثقل الحرف فيميل إلى جهة مخرجها هي، فإذا كان الحرف ساكنا وحرّكته بالفتح جذبته الفتحة نحو الألف، وإذا حرّكته بالكسر جذبته الكسرة نحو الياء، وإذا حرّكته بالضمّ جذبته الضمّة نحو الواو، فلمّا فعلت تلك الأصوات الناقصة بالحرف ذلك سميت حركات."[7]

من هذا القول لا نجد اختلافا بين العلماء في تسمية الحركات بهذا المصطلح فهي مبنية على حركة أعضاء النطق مثلما يذهب إليه الدارسون، ولكن ما أنواع هذه الحركات في اللغة العربية؟

3-أنواع الحركات في اللغة العربية:

تتنوع الحركات في اللغة العربية بين حركات طويلة وهي: الألف، والياء، والواو، وحركات قصيرة وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، وهو تصنيف حديث ذلك أنّ الذي أُثِر عن معظم علماء العربية المتقدمين تسمية الألف والياء والواو بحروف المدّ، وتسمية الفتحة، والكسرة، والضمة بالحركات كان في وقت متأخّر، وهو ما نستنتجه من قول (ابن جني): "وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة"[8]، في حين تعرف العربية نوعا ثالثا[9] يتمثّل في تلك الحركات القصار التي تظهر في المنطوق من الكلام وفي قراءة القرآن الكريم وتجويده، والتي منها[10]: الاتباع، والإشمام[11]، والروم، والاختلاس... والتبادل بين الحركات وهو ما يدرس في باب (المماثلة بين الحركات).

وكلا النوعين اللذين ذكرنا يصنّف ضمن الحركات، لكن للتفريق بينهما تضاف قرينة (قصيرة) للدلالة على الفتحة والكسرة، والضمة، وقرينة (طويلة) للدلالة على الألف والياء والواو. ونوعا الحركات الطويل والقصير الذي ذكرنا هو ما أفرده (ابن جني) بالدراسة في (سرّ صناعة الإعراب) موضّحا فيه عبر الأدلة والحجج أنّ الحركات القصيرة هي أبعاض حروف المدّ واللين[12]، فكرة تأثّر بها بعض العلماء منهم ابن الخشاب (تـ 567هـ) وذلك عند حديثه عن زيادة حروف المدّ واللّين...بحيث قال: "وإنّما كانت هذه الحروف أولى من غيرها بالزيادة لأنّ الكلم لا تكاد تخلو منها، أو من أبعاضها، وأبعاضها هي الفتحة والكسرة والضمة"[13].

وكذلك تأثّر بهذا الرأي الرازي (ت606هـ) في التفسير الكبير[14]، إلا أنّ ما "يلاحظ على هؤلاء أنّهم لم يحدّدوا مقدار هذا الجزء الذي تمثله الحركة القصيرة بالنسبة للحركة الطويلة، بالرغم من وجود بعض المحاولات التي سعى فيها أصحابها لتقدير هذه الكمية، منهم الجاربردي (ت746هـ) في شرحه على الشافية الذي صرّح بأنّ الواو من جنس الضمة وتقدّر بضمتين."[15]

وقياسا على هذه الأقوال فإنّنا لا نرى بأسا من اعتبار تلك الحركات التي تظهر في الإمالة، والاختلاس، والإشمام أبعاضا للحركات القصيرة، مثلما ظهر لنا على وجه الدّقة والتمثيل أنّ هذه الحركة القصيرة هي جزء من حرف المدّ التامّ[16]، ونخالف ما يذهب إليه بعضهم من أنّ متقدمي العربية توهّموا: "في بيان مقاييس هذه الحركة حين تحدّثوا عن حالات الإمالة التي عدّوها جزئيات فرعية لهذه الحركة القصيرة."[17]،

ونضيف أنّ مجيدي القرآن الكريم يرون أنّ ما يظهر من الحركة في الإشمام والاختلاس والإمالة والروم ... هو بعض الحركة، من ذلك قولهم: "وضدّ الاختلاس إكمال الحركة، لأنّ معنى الاختلاس خطف الحركة والإسراع بها".[18]

4-إنتاج الحركات:

حدّد متقدمو العربية مخارج أصوات لغتهم بنوعيها، الحركات والسواكن متوسّلين في ذلك بالملاحظة الذاتية والحسّ المرهف بدء من الخليل (ت175هـ)، فسيبويه (ت180هـ)، ثم ابن جني (ت392هـ) الذي اجتهد في بيان طريقة خروج أصوات المدّ وهي باصطلاح بعضهم حركات طويلة، واجتهد كذلك في بيان علاقتها بالحركات القصيرة أي الفتحة والكسرة والضمّة.

ولكي تكون هذه الأصوات للمدّ يشترط الدارسون أن تأتي ساكنة وقبلها حركة قصيرة من جنسها فالألف: لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا نحو: قَال، أما الواو: فلا يكون ما قبلها إلا مضموما نحو: يقُول، أما الياء فيجب أن يكون ما قبلها مكسورا نحو: قِيل. وتسمى أصوات المدّ واللين "لامتداد الصوت بها" وعدم انتهائه في مدرجة من مدارج الحلق والفم والشفتين[19] عند النطق بها. بل يمتدّ الصوت ولا ينتهي امتداده إلا بنفاذ الهواء الخارج من الرئتين.[20]

لهذا يقول المتقدّمون إنّ حرف الألف يتميّز بصفة الامتداد والتي تختلف عن صفة الاستطالة "فالمستطيل طويل في مخرجه المحقّق ويجري الصوت فيه بحسب طول هذا المخرج فزمنه مساو لمخرجه" [21]، أما المدّي فإنّ مخرجه مقدّر، ولا ينتهي الصوت إلا بانتهاء النفس[22] والذي يظهر لنا اعتمادا على ما ذكرنا من حاليهما أنّ انتاج النوع الثاني القصير (ـَ، وـِ، وـُ) يكون بالكيفية نفسها والفرق بينهما يكمن في الكمية لا غير.

وقد عرض (ابن جني) في كتابه (سرّ صناعة الإعراب) المواضع النطقية للحركات من خلال الأعضاء المتدخّلة في إنتاجها، إذ تنشأ هذه الأصوات بامتداد الصوت في مخرجها وهو الجوف مع عدم وجود حواجز تحدّ من امتدادها، فينتج الصوت عند ملاقاة الهواء الخارج من الرئتين، وهنا نشير إلى أنّ أوسع الأصوات مخرجا هو الألف، فعند النطق به يجد الهواء منفذا له، ولا يجابه لا بضغط ولا بحصر، ويكون الحلق والفم منفتحين كليّا.[23] وهذا للألف دون غيره من الأصوات، يليه من حيث درجة الانفتاح مخرج حرف الياء الساكنة، وذلك لتدخل عناصر أخرى في إصدار هذا الصوت الذي ينجز عن طريق ضغط الأضراس السفلية، والعلوية لجنبتي اللسان، ما يبعد الحنك عن ظهر اللسان، ومن خلال وضع هذه الأعضاء يمرّ الصوت متصعّدا من أسفل إلى أعلى وهكذا يسمع صوت الياء، ولإنتاج الواو فما عليك إلا ضمّ معظم الشفتين، فيخرج النفس من خلال بعض الانفراج الذي تتركه بين الشفتين، وإن كان (ابن جني) وغيره قد وصف مخارج الحركات الطويلة فإنّ "هذا بالنسبة للحركات الطويلة والحركات القصيرة."[24]

ومن هذا نتبيّن أنّ اختلاف الأصداء المسموعة وتباينها هو ناتج عن اختلاف أوضاع الأعضاء المتدخلة في إحداث هذه الأصوات والمتمثلة في اللّسان والشفتين.[25] مع الأخذ في الاعتبار كمية الهواء المتسرّب، هذا الذي نستنتجه من حديث (ابن جني) عنها، ولا يختلف (ابن سينا) (ت428) في حديثه عن مخارج هذه الأصوات عن (ابن جني) بحيث يركّز على كمية الهواء ثم الأوضاع المختلفة التي تتّخذها الأعضاء والتي عبّر عنها بالمخرج، فهو يقول في رسالة في أسباب حدوث الحروف: "وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة، فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم، والواو المصوتة وأختها الضمة، فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق. والياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل."[26] فهو يركّز على الهواء المتسرّب والأوضاع المتباينة للأعضاء.

ويذكر بعض الدارسين المحدثين أنّ (ابن جني) يختلف عمن سبقوه في إشارته للمواضع النطقية للحركات بدقة رأيه، وشموليته إذا ما قيس بآراء العلماء السابقين، وينتقده بأنّه أغفل دور اللسان عند إنتاج الضمة[27] لكنّنا نرى بأنّ اللّسان لا يقوم بحركات معينة لإنتاج هذا الصوت وإنما له وضع يحافظ عليه. وقد نبّه عبد الرحمن أيوب في كتابه أصوات اللغة إلى دور عضو آخر وهو اللّهاة فهو يرى بأنّ اللّهاة تعمل في إنتاج الحركات عملا مهمّا، حيث تقوم بإغلاق الفراغ الأنفي، ليستمرّ الهواء في مجراه الفموي، "وهذه إشارة مهمة، فلو بقي الفراغ الأنفي مفتوحا تماما أثناء إنتاج الحركات لأدّى ذلك إلى تشتت تيار الهواء، وهذا يؤدي إلى **ضعف الوضوح السمعي** للحركات التي تفوق الأصوات اللغوية عامة في وضوحها."[28]

ويشير باحثون آخرون إلى دور الوترين الصوتيين على اعتبار أنّهما العامل الوحيد في إنتاج الحركات، وقد جانبهم الصواب هنا –في رأينا – لأنّنا "لو أطلقنا الهواء مع تذبذب الأوتار الصوتية دون تدخل الأعضاء النطقية لكان الصوت الناتج غير محدّد."[29]وكلّ ما يمكن أن نقوله عن آراء المتقدمين أنّها نظرة شمولية للأعضاء العاملة في إنتاج الحركات.[30]

ويبدو أنّ تحديد مخارج الحركات لم يكن بالأمر الخفيّ عن علماء العربية المتقدّمين الذين يذهبون إلى أنّها هي مخارج حروف المدّ، ولكن بعض المحدثين قام بدراسة معملية حديثة ذهب من خلالها إلى وجود اختلافات طفيفة بين الحركات وحروف المدّ، فاللسان عند النطق بحروف المدّ مثلا أكثر هبوطا وأكثر انسجاما إلى الخلف ممّا هو عليه عند نطق الفتحة كما أنّ هناك اختلافا بين النطق بالضمّ والكسر في مقابل واو المدّ وبائه.[31]

ولأنّ الحروف تتحدّد بمخارجها وصفات تميّزها عن غيرها نذكر فيما يأتي صفات الحركات التي ذكرها بعض علماء العربية، وقبل ذلك نعرّف الصفة في الاصطلاح.

والصفات في الاصطلاح: هي الظواهر الصوتية المصاحبة لحركات أعضاء النطق حال إنتاج الصوت اللغوي، أو هي هيئة عارضة للصوت في مخرجه ليظهر ما به من همس أو جهر، ... مثلما يذهب المتقدّمون.

وقد قال (سيبويه) عن هذه الأصوات: "وهذه الحروف **غير مهموسات**، وهي حروف لينٍ ومدٍّ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت؛ وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمد للصوت؛ فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفةٍ ولا لسانٍ ولا حلقٍ كضم غيرها" [32]، من القول نستنتج أن الصفة الجامعة للحركات هي الجهر.

ولكنّنا نجده يقول في موضع آخر: "وهذه الثلاثة **أخفى الحروف** لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو."[33] وهنا نتساءل كيف يجمع الحرف الواحد بين الجهر والخفاء؟
هذا ما يجيب عنه أحد المحدثين إذ يرى "أن المقصود بالخفاء هو خفاء المخرج في حين تعدّ أوضح الأصوات من حيث طبيعتها الصوتية."[34]

ووصفت الألف **بالتفخيم** حينا وبالترقيق حينا آخر، والفتحة تابعة لها في ذلك والألف في ذلك تابعة لما قبلها فإن كان مفخما فخمت وإن كان مرققا رققت، يقول ابن الجزري: " وَأَمَّا الْأَلِفُ فَالصَّحِيحُ أَنَّهَا لَا تُوصَفُ بِتَرْقِيقٍ وَلَا تَفْخِيمٍ، بَلْ بِحَسَبِ مَا يَتَقَدَّمُهَا فَإِنَّهَا تَتْبَعُهُ تَرْقِيقًا وَتَفْخِيمًا"[35] بمعنى إذا جاءت بعد حرف من حروف الاستعلاء (خ-غ-ق-ض-ط-ص-ط) وهي جميعها مفخّمة تفخّم، "في حين توصف الياء والواو المديتين بالترقيق دائما."[36]

ويفسّر بعض المحدثين التفخيم والترقيق تفسيرا صوتيا ذلك أنّ: "الصوت الإنساني يرنّ داخل أعضاء النطق فإذا ضاق حيّز الرنين أي صغر حجم الفراغ الهوائي الذي يرنّ فيه الصوت، جاء الحرف مرقّقا أو منخفضا أما إذا اتسعت التجاويف وكبر حجم الفراغ الهوائي فإنّ الحرف يسمع مفخما أو مستعليا، وهذا هو الفرق الصوتي عندما أنطق كلمتين مثل "فذّ، وفظّ"... وكذلك الأمر عندما أقول "سار" و"صار" أو "نبت ونبط".[37]

وقد وصف سيبويه الألف بأنّه (هاوي) في قوله: " ومنها الهاوي وهو حرفٌ اتّسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف."[38]

يشير بعض المتخصّصين في تعليم اللغات الأجنبية إلى أنّ أصعب الحروف نطقا هي الحركات وهي التي نجدها تختلف من لغة إلى أخرى، لذا "قام بعض المحدثين بوضع مقاييس للحركات لتعددها، وصعوبة نطقها واختلافها باختلاف اللغات، منها مقاييس "دانيال جونز" الذي اعتمد على المقياس الفيزيولوجي لتحديد تلك المقاييس.

فعند نطق كلمات عربية تظهر الحركات والسكنات في نحو: هؤلاء، سيئت، سواء، بحيث يحدث اهتزاز للأوتار الصوتية مع انضمام الشفتين عند الواو وانخفاض الفكّ السفلي مع الياء وانفتاح ما بين الفكّين عند الألف[39]، وهنا ننبّه إلى أنّ عدم فتح الفم مع الألف فتحا تامّا أو ضمّ الشفتين مع الواو وكسر الفكّ السفلي مع الياء يعدّ خطأ شائعا في قراءة القرآن، وبالنسبة للحركات أيضا ينبغي على القارئ أن يحفظ

مقـادير الحركـات والسـكنات، فـلا يشـبع الفتحـة بحيـث تصـير ألفـا ولا الضـمّة فتخـرج واوا ولا الكسـرة فتكـون ياءً، ولا يوهنها ويبالغ فيضعف الصوت عن آدائها فتتحوّل سكونا.

5-ما بين الحركات الطويلة والقصيرة:

ذكرنـا أنّ هـذه الأصـوات المديّـة الثلاثـة تقابلهـا ثلاثـة مـن جنسـها لكنّهـا قصـيرة هـي الفتحـة، والكسـرة، والضـمة، اشـتهرت بمصـطلح الحركـات[40]، "فقـد كـان متقـدمو النحـويين يسـمّون الفتحـة الألـف الصـغيرة، والكسـرة اليـاء الصـغيرة، والضـمّة الـواو الصـغيرة"[41]، فالتسـمية مثلمـا نلاحـظ مبنيـة علـى أسـاس وجـود علاقـة (أصـغر مـن) لكـن يبـدو أنّ هـذه التسـمية لم تقنـع (ابـن جـني)، فنـراه ينقّـب عـن الأدلّـة المثبتـة لآرائـه فحصـل علـى ثـلاث حجـج تزيد الأمر وضوحا وبيانا تتمثّل في:

أولا: أنّ عـدد الحركـات، فتحـة وكسـرة وضـمة مسـاوٍ لحـروف المـدّ، ألـف وواو، ويـاء ينبـئ بوجـود تماثـل بـين هـذين النوعين لا محالة.

ثانيا: أنّ كلّ واحدة من هذه الحروف تنشأ بإشباع الحركة التي هي من جنسها.

ثالثـا: تـدور الحجـة الأخـيرة حـول إمكانيـة (إطالـة) مطـل حـروف المـدّ نفسـها كمـا أنّ الحـروف نفسـها قـد تجـد بعضـها أتمّ صـوتا مـن بعـض (وإن كانـت كلّهـا حـروف يقـع بعضـها موقـع بعـض)[42] في غالـب الأمـر، وإذا تسـنّى لنـا هـذا فإنّـه يجـب علينـا الموافقـة علـى أنّ هـذه الأخـيرة يمكـن لهـا أن تتعـرّض لعكـس عمليـة المطـل (هـي الاختـزال) فتصـبح حركـة قصـيرة، ومـن خـلال العلاقـة المسـتنتجة بـين الحركـات الطويلـة والقصـيرة والـتي يبـدو أنّهـا تعـاني نقصـا جوهريـا بالنسـبة إلى الحـروف التـوامّ الكوامـل نتوصّـل إلى أنّ الحركـة جـزء مـن حـرف المـدّ الـتمّ الكامـل.[43] إذن فالحركـة مـاهي إلا انتقـال لحـرف مـدّ قصـير، "فكلّمـا رسـخ الحـرف في المـدّ كـان محفوظـا بتمامـه، ويتمـادى الصـوت به، وذلك الألف ثم الياء ثم الواو".[44]

وبعد هذه الاستدلالات نتوصّل إلى الصفات الأساسية الجامعة لأصوات المدّ قصيرها وطويلها والمتمثّلة في:

-عدم وجود عائق عند إنتاج كلا النوعين مع اهتزاز الوترين الصوتين الذي ينجم عنه الجهر.

-الحركـات أوضـح في الأسمـاع مـن السـواكن، علمـا أنّ الحركـات القصـيرة أقـلّ وضـوحا في الأسمـاع مـن الحركـات الطويلـة وهـو مـا تؤكّـده الدراسـات التطبيقيـة الحديثـة، بـالرغم مـن أنّهمـا مـن صـنف واحـد، وهـي الفكـرة الـتي تناولهـا (ابـن جـني) في كتابـه (سـرّ صـناعة الاعـراب) بعنـوان : الحركـات أبعـاض حـروف المـدّ واللـين[45]، ويبـدو لنـا مـن تعريفنـا السـابق للحركـة "أنّ مقصـود (ابـن جـني) بقولـه أبعـاض حـروف المـدّ واللّـين أنّ هـذه الحركـات عبـارة عـن انتقـال للحـروف يصـعب علينـا تحديـد مـداه انطلاقـا مـن هـذه العلاقـة المتوهّمـة بـين الحركـة والحـرف علاقـة اجتهـد (ابن جني) في عرض الأدلّة المثبتة لها حتّى يكوّن منها نظرية خاصة به"[46].

فالحركـة وحـرف المـدّ مـن مـادة واحـدة ولهـذا فهمـا مشـتركان في الخصـائص والمميـزات، إذ أنّ "الحركـة في حقيقتهـا لا يمكـن أن تكـون لهـا سمـات مفهومـة تميّزهـا عـن هـذا الشـيء الآخـر، وهكـذا تبـدو لنـا في ضـوء هـذا

الفهم استحالة أن تصبح الحركة كائنا آخر أي أن تصبح مستقلّة، وهذا الكلام مأخوذ من منطق الإثبات لدى ابن جني ولكنه لم يستخرجه بنفسه".[47]

– يطول صوت الحركات الطويلة وتتمكّن مدّتها في أماكن ثلاثة[48]، وهي: أن يقع بعدها وهي سواكن توابع لما (هو منهنّ) وهو الحركات من جنسهنّ الهمزة (في نحو: يشاء، ويداء، ويهوء، ويجيء ويفيء) أو الحرف المشدّد (في نحو شابّة ودابّة ويطيب بّكر، ويسير رّاشد، وتمودّ الثوب) أو أن يتوقف عليها عند التذكّر.[49] وذلك في نحو قولك ضربوا يوم الجمعة، أو ضربوا فتتذكّر الحال، وكذلك الياء في نحو اضربي أي اضربي زيدا.[50]

وهكذا لا يكون المطل في حالة التذكّر مقتصرا على أصوات المدّ وحدها، هذه الأخيرة التي تكون في بعض الأحيان أطول أو أقصر ممّا هو متعارف عليه، فإنّك لا تجد هذه الحروف لدنات ولا ناعمات، ولا وافيات مستطيلات، كما تجدهنّ كذلك إذا تلاهنّ الهمز أو الحرف المشدّد[51] أو توقف عليهنّ عند التذكّر. مع هذا الاختلاف في الطول، إلا أن هذه الحروف تبقى في مختلف الحالات حركات طويلة لا شيئا آخر.

–بإشباع الحركات الثلاث ينشأ الحرف الذي هي بعضه، وهذا فيه من الدلالة على أنّ هذه الحركات أبعاض لهذه الحروف "وإذا فعلت العرب أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة واوا"[52]، فبإشباع فتحة العين من (عَمر) تصبح: عامر، وبإشباع كسرة العين من (عِنب) تصبح: عينب، وبإشباع ضمة العين في (عُمر) تصبح عومر، لأنّ "الحركة جزء من الحرف التامّ، وهذا الجزء الذي يمثّل الحركة يحتلّ المكان الأول في حرف المدّ[53]، ولكن هذه الحركات المشبعة قد يؤثّر إشباعها –في أحيان أخرى – على المعنى، "أين يؤدّي إلى تغيير المعنى ومثالها: كتب kataba كاتب ka:tib فقد تغير المعنى من الفعل الماضي الدال على حدث وفاعله إلى اسم الفاعل الدال على الحدث ومن اتصف به. وقد جاءت الزيادة في المعنى من إشباع فتحة الكاف في يكتب."[54]

وفكرة الإشباع يستعملها النّحاة العرب إشارة إلى نوع من التكبير، وإشعارا ببعض ما يبدو أكثر قوة أو تواترا من الأحداث اللغوية، وهنا نشير إلى أنه لا يدخل في الإشباع ما تغيّرت فيه المادة، لابد من اتحاد الجذر الاشتقاقي وقد عبّر (سيبويه) على الإشباع بالتمطيط، يقول فأما الذين يشبعون فيمططون، وعلامتها واوٌ وياءٌ، وهذا تحكمه لك المشافهة."[55] في حين عبّر (ابن فارس) (ت 395هـ) عن الإشباع بالبسط، وجعل ذلك من سنن العرب وخصّص له بابا عنونه بـ: باب البسط في الأسماء قال فيه: "العرب تبسط الاسمَ والفعل فتزيد في عدد حروفهما، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزنِ الشعرِ وتسوية قوافيه، وذلك قول القائل:

وليلةٍ خامدة خمودا ... طَخياءَ تُغْشي الجَدْيَ والفُرْقودا

فزاد في "الفَرْقَد" الواوَ وضم الفاء لأنه ليس في كلامهم "فَعْلولاً" ولذلك ضم الفاء. وقال في الزيادة في الفعل:

لو أنّ عَمْراً همَّ أنْ يَرْقودا"[56]

-كلا النوعين يعتمد على حرف يقوم عليه، ومن ثمّ لا تبدأ العربية بحركة قصيرة مثلما لا تبدأ بحركة طويلة، ويمكن التعليل لعدم الابتداء بالحركة أو حرف المدّ بأنّ الحركة لابد لها من حامل يحملها هو الحرف، أما حرف المدّ فلا يبدأ به لسكونه على جانب أنه لابد أن يسبق بحركة من جنسه[57].

- لا تتلو الحركة القصيرة حركة مثلها ولا يتلو الحركة الطويلة حركة مثلها، من ذلك أنّ رجلا حاول مدّ الصوت بالألف مدّعيا أنّه يمكن الجمع بين ألفين، فقال له أبو إسحاق لو مددتهما إلى العصر لما كانت إلا ألفا واحدا."[58]

-ومن علامات الاتفاق كذلك بين نوعي الحركات قصيرها وطويلها كون كلّ منهما علامة إعراب، فالضمة علامة رفع، والواو تنوب عنها في جمع المذكر السالم، والألف في المثنى، والفتحة علامة نصب تنوب عنها الياء في المثنى وفي جمع المذكر السالم، والكسرة علامة جرٍّ تنوب عنها الياء، والفرق الجوهري بين النوعين إذن هو في الكمية مثلما وضّح (ابن جني) أعلاه وأكّدته الدراسات المخبرية الحديثة، وقد سبق ابن سينا إلى الاعتراف بوجود علاقة بين صنفي الحركات قائلا: "ولكنّي أعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة. وأنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصحّ فيها الانتقال من حرف إلى حرف."[59]

-وفي التمييز بين نوعي الحركات عالج المتقدمون مسألة **خفة الحركات وثقلها**، وذهبوا إلى أنّ الضمّة أثقل الحركات[60] لاحتياجها لتحريك عضلتين بخلاف الكسرة التي لا تحتاج إلا لتحريك عضلة واحدة وهو تفسير المحدثين، إذ يقول أحدهم: "الضمة هي التي تحتاج إلى جهد عضلي أكثر، لأنّها تتكوّن بتحريك أقصى اللسان في حين أنّ الكسرة تتكوّن بتحريك أدنى اللسان، وتحريك أدنى اللسان أيسر من تحريك أقصاه" في حين يأخذ اللسان وضع الانبساط في قاع الفم عند النطق بالفتحة فهي أخف الحركات.[61] وأنّ الفتحة أخفّ الحركات.

وفيما يأتي تفصيل لبعض الصفات التي ذكرنا:

1-دليل الإشباع:

يطلق في العروض على حركة الحرف المسمّى بالدخيل "إشباعا"، وهو يحدث في آخر البيت، أو في الرويّ، فينشأ عن الحركة حرف من جنسها، وهو ما بيّنه (ابن جني) عبر التمثيل للاستدلال على أنّ الحركة بعض حرف المدّ، من الأمثلة نذكر قولهم: الحكمو عوض الحكمُ، وقولهم القمري في القمرِ، وكذا العتابا في العتابَ. مثلما تشبع حركة هاء الضمير الغائب للمفرد المذكّر، وميم الجمع إن لم يترتّب على ذلك كسر البيت أو التقاء ساكنين، مثل: له، به، لكم، بكم، تكتب عروضيا هكذا: لهو، بهي، لكمو، بكمو[62].

إذ يلجأون لإقامة الوزن -في بعض الأحيان-إلى إشباع الحركة، فينشأ عنها الحرف الذي هي بعضه، وهذه الزيادة ليست مصوغة في تلك الكلم، إنّما زيدت لمعان حدثت وأغراض أريدت، والأمثلة على ذلك كثيرة في الشعر العربي نذكر منها ما يأتي:

– من أمثلة إشباع الفتحة الواردة في الكتاب قول الشاعر[63]:

بينما نحنُ نرقُبه أتانا معلّق وَفضَةٍ وزنادَ راعٍ

أراد: "بين" واحتاج لإقامة الوزن فأشبع الفتحة فنشأ عنها ألف مدّ.

وقد تزاد الألف للترنم والتنغيم في الشعر، نحو قول جرير:

أقلّي اللّومَ عاذلَ والعِتابا وقُولي إن أصبتُ لقد **أصابا**

حيث مدّ الشاعر الألف في العتابا للترنّم، ويروى البيت أيضا: العتابن بالنون.

–ومن إشباع الكسرة قول الفرزدق وهو أيضا من أبيات الكتاب[64]:

تنفِي يداها الحصى في كلِّ هاجِرةٍ نَفي الدَّراهيم تنقادُ **الصَياريف**

أراد الصيارف، فأشبع الكسرة فنشأ عنها ياء مدّ.

–ومن إشباع الضمّة قول الشاعر[65]:

وإنّني حَوثما يشْرِي الهوى بصَرِي من حيثُما سَلكُوا أثني **فأنظُروا**

أراد " أنظر" فأشبع الضمة فنشأ عنها واو مدّ.

هذه النماذج تظهر لنا أنّ الحركات الطويلة هي نتاج مطل الحركات القصيرة التي هي تابعة لها[66]، ليس هذا فقط بل إنّ الحركات الطويلة تابعة للحركات القصيرة ومتنشّئة عنها، وأنّ الحركات القصيرة أوائل لها، وأجزاء منها[67].

ربّما تصوّر بعضهم من هذا أنّ حروف المدّ الطويلة ماهي إلا قطع وأجزاء حركات قصيرة التحمت وهي قابلة للتجزّء في كلّ حين، فنؤكّد له أنّها استمرار غير منقطع، وليست وصلا لأجزاء مستقلة قابلة للتلاحم، وإشارة ابن جني توقفنا على إحساس القدامى بالفرق الواضح بين هذه الحركات، وقد قيّد فيها القول علماء الدراسات الصوتية الحديثة، إنّه فرق في الكميّة المنتجة، فقد سجّل المحدثون على الأجهزة المتخصّصة أنّ الفترة الزمنية لإنتاج الحركات القصيرة تساوي 300 دورة/ ثانية، بينما تصل إلى 6000دورة/ ثانية مع الحركات الطويلة (الألف، والواو والياء المديتين).[68]

ومعروف عندهم أنّ الحرف المتحرّك "إذا وقف عليه لا تخلو حركته من أن تكون ضمّا أو فتحا أو نصبا أو كسرا أو جرّا، فإن كانت ضمّا أو رفعا جاز الوقف عليه بالسكون والروم والإشمام، وإن كانت كسرا أو خفضا جاز الوقف عليه بالسكون والروم ولم يجز الإشمام، وإن كانت فتحا أو نصبا وليس معها تنوين كان الوقف بالسكون لا غير ولم يجز الروم ولا الإشمام وذهب سيبويه وغيره من النحويين إلى جواز الروم في المفتوح والمنصوب ولم يقرأ به أحد".[69] والإشمام[70] هو "أن تطبق شفتيك بعد تسكين الحرف فيدرك ذلك بالعين ولا يسمع...وحقيقته أن تجعل شفتيك على صورتهما إذا نطقت بالضمة".[71]

ومن أمثلة الإشمام نذكر بعض القراءات، منها: قوله تعالى:﴿ غِيضَ الماءُ ﴾(هود 44)، ﴿ وَجِيءَ بالنبيين﴾(الزمر69)،﴿ وَجِيءَ يَومئِذٍ بجَهنَّمَ ﴾(الفجر 23)، عند قراءة هذه الأفعال "تنحو بكسرة

أوائلها نحو الضمة، وبالياء بعدها نحو الواو فهي حركة مركبة من حركتين كسر وضم، لأنّ هذه الأوائل وإن كانت مكسورة فأصلها أن تكون مضمومة لأنها أفعال ما لم يسم فاعله فأشمت الضمّ دلالة على أنّه أصل ما تستحقه وهي لغة فاشية للعرب."[72] (يدخل هذا ضمن ما يسميه بعضهم إمالة الكسرة ضمّة).

أما الروم فهو "الإتيان ببعض حركة الحرف وذلك البعض الذي يأتي به هو صوت خفيّ يدركه الأعمى والإشمام لا يدركه الأعمى لأنّه لرؤية العين لا غير، وإنّما هو إيماء بالعضو إلى الحركة".[73] "...وقصروا الروم على الوقف دون الوصل في حين جعل الاختلاس غير مقصور على الآخر"[74]، والفراء يستثني الفتحة من الروم، وهو المذهب الذي أخذ به القراء السبعة.

إلى جانب مصطلحي الروم والإشمام اللذان اعتبرناهما أجزاء الحركة، نضيف مصطلح الاختلاس، والاختلاس عندهم أن تأتي بأكثر الحركة أو بثلثيها، وهو خلاف الروم الذي هو الإتيان بأقلّها ويضبط بالمشافهة[75]. لقد قرأ ابن كثير وورش وهشام قوله تعالى:﴿ وَهُم يَخَصِّمُونَ ﴾(يس 49) "بفتح الخاء وتشديد الصاد وأبو عمرو وقالون كذلك إلا أنهما يختلسان فتح الخاء"[76]، والاختلاس يكون بخطف الحركة والإسراع بها.

أما سيبويه فقد جعل الاختلاس في المضموم والمكسور دون المنصوب، لخفة الفتحة على أختيها، وهو يقول: " فأما الذين يشبعون فيمططون، وعلامتها واوٌ ويـاءٌ، وهذا تحكمه لك المشافهة. وذلك قولك: يضربها، ومن مأمنك.

وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربها، ومن مأمنك، يسرعون اللفظ. ومن ثم قال أبو عمرو:﴿ إلى بَارِئِكم ﴾. ويدلك على أنها متحركة قولهم: من مأمنك، فيبينون النون، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون. ولا يكون هذا في النصب، لأن الفتح أخف عليهم"[77]وهذا تعليل صوتي.

2-الحركات دليل إعراب:

من المعلوم أنّ الخطأ في نطق الحركة يعدّه مجيدو القرآن والقراء لحنا ذلك أنّ الحركة تزود التركيب بمعان جديدة، فلو قرأ أحدهم قوله تعالى:﴿ صِراطَ الذينَ أنْعَمتَ عَلَيهِم ﴾(الفاتحة) بتحريك التاء بالفتح يكون الله هو المخاطب، ولكن إن ضمّ التاء يكون المتكلّم قد نسب النّعمة لنفسه وبالتالي يتغيّر المعنى، وهو غير جائز على الإطلاق. وهو يختلف عن حالات تغيّر دلالات الألفاظ وهو ما يحدث في قراءة القرآن الكريم من ذلك ما رواه "الفراء (ت 207هـ) قراءة﴿ تَحاضُّون ﴾بأوجه عديدة، بناء على علل اختلاف المبنى لاختلاف في المعنى قال :(كأن﴿ تُحاضُّون ﴾: تحافظون، وكأن"تَحُضُّون": تأمرون بإطعامه، وكأن " تَحاضُّون": يحضّ بعضكم بعضا)، وكلّها قراءات جائزة وصحيحة عنده."[78] في حين قد ينتج عن تغيّر حركة اللفظ تغيّر في الحكم الشرعي.

ومن وظائف الحركة القصيرة نذكر:

-تستعمل هذه الحركات الثلاث في إعراب الكلمات، والإعراب هو تغيّر أحوال أواخر الكلم بتغيّر العوامل الداخلة عليها، وهو في تعريف الرازي: «اخْتِلَافُ آخِرِ الْكَلِمَةِ بِاخْتِلَافِ الْعَوَامِلِ: بِحَرَكَةٍ أَوْ حَرْفٍ تَحْقِيقًا أَوْ تَقْدِيرًا"[79].

و"عند الحديث عن الحركات الإعرابية وحالات الإعراب في اللغة العربية، لابد من أن نتذكّر أنّ الإعراب فيها يكون بنوعين من الحركات، الحركات الأصلية، وهي الضمة والكسرة والفتحة، والحركات الفرعية، وهي ثلاث حركات: الواو المدية، والياء المدية، والألف، أو الفتحة الطويلة، ومعها صوت صحيح."[80] تحدّث عن هذه الحركات الإعرابية (سيبويه) في (**باب مجاري أواخر الكلم من العربية**) حيث يقول: "وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجرّ والرفع والجزم، والفتح والضمّ والكسر والوقف"[81].

وهذه الحركات لها وظيفة التمييز بين المعاني، فالضمة لها دلالة على الإسناد، والكسرة تدلّ على الإضافة، وجعلت الفتحة للتمييز بين الموقعين، "وتكون الضمّة علامة رفع في الأسماء المفردة المسندة (التي تكون عمدة في العملية الإسنادية وتركيب الجملة) كالفاعل والمبتدأ والخبر ونائب الفاعل، كما تكون علامة رفع في الأفعال المضارعة، كما تظهر في جمع التكسير وجمع المؤنث السالم الممنوع من الصرف إذا وقعت في مواقع تستحق فيها الإسناد.[82]

- تجعل الميزان الصرفي[83] مختلفا (فعل: فَعَلَ-فَعِلَ-فِعْل): لقد وضع علماء العربية صيغا خاصة بالأسماء: فخصّوا المصدر، واسم الزمان، واسم المكان، واسم المرة، واسم الهيئة، واسم الآلة بصيغ محدّدة، كما خصّوا المشتقات كاسم الفاعل، واسم المفعول وصيغ المبالغة، والصفة المشبهة، واسم التفضيل بصيغ محدودة ومعروفة، هذا بالنسبة للأسماء، وقد وضعوا للأفعال صيغا محدّدة باعتبارها مجرّدة أو مزيد فيها بحرف أو حرفين أو ثلاثة أحرف، ومعلوم أنّهم جعلوا "اخْتِلَاف حَالِ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْكَلِمَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَوْزَانِ الْكَلِمَةِ"[84].

-ومن خلال هذه الصيغ المختلفة يتمّ إثراء اللغة العربية، إذ بعدد محدود من الحروف نتحصّل على الكثير من الصيغ، واختلاف حركات الصيغ دليل على تغيير معنى اللفظة، وعدم تزويد التركيب اللفظي بالحركات المناسبة قد يوقع في اللبس، "إذ تشكّل الصوائت القصيرة وعلامات الإعراب الأساس الدلالي لها: قاتل المرء طمعه، جملة مبهمة لا يزيل إبهامها إلاّ صوائتها وعلاماتها الإعرابية، لذلك قد تدل على جملة اسمية إذا حركت على النحو التالي:

- قَاتِلُ المرءِ طَمَعُهُ = جملة اسمية وصيغة " قاتل " اسم فاعل.
- قَاتَلَ المرءُ طَمَعَهُ = جملة فعلية وصيغة " قاتل " فعل ماضٍ.
- قَاتَلَ الْمَرْءَ طَمَعُهُ = جملة فعلية، تختلف دلالتها عن دلالة الجملة الثانية.

يتبين أن الصوائت لها وظيفة كبرى في تغيير معاني السياق أو بعبارة أخرى لها وظيفة فعّالة في تحديد دلالة الصيغ الصرفية داخل السياق، وبالتالي فهي ميزة ميزت العربية عن غيرها، وهو ما يمنحها الغنى والمرونة في الاستعمال اللغوي."[85]

-للحركات وظيفة لغوية بحيث تجعل الكلام متصلا غير منفصل، ذلك أنّ من تقاليد العرب إذا أنهت كلامها أن تتوقف على ساكن، وهو ما أشار إليه صاحب الكتاب قائلا: "وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به."[86] والمقصود بقول الخليل زوائد أنّها ليست من أحرف الكلمة الأساسية، ولا يفهم من كلامه الانتقاص من دورها بوصفها أصواتا لغوية لها دورها كبقية الأصوات."

-تعمل الحركات على تحويل الفعل من زمن المبني للمعلوم إلى البناء لما لم يسم فاعله، في نحو ما جاء في الخطاب القرآنيّ، حيث وردت الصِّيغة الأولى في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هـذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾[البقرة 58] بذكر الفاعل، والثَّانية بطرح الفاعل في قوله عزَّ وجل:﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هذِهِ الْقَرْيَةَ ﴾[الأعراف 161].

-تستخدم الحركة للتمييز بين ثلاثة أنواع من ضمير الفاعل المتصل: المتكلّم: كتبتُ – ضمير الفاعل، والمخاطب (المؤنّث): كتبتِ، وضمير الفاعل المخاطب (المذكر): كتبتَ.

أما بالنسبة للحركات الطويلة فإنّ من أبرز وظائفها: الدلالة النحوية، ولها حالتان: -المغايرة بين حالتين هما:

أـ المرفوعات، وهي تضم الرفع بالواو في جمع المذكر السالم في نحو: المعلّمون مخلصون، وفي الأسماء الخمسة: أخوك محترم، والرفع بالألف في المثنى في نحو: حضر الصديقان.

"من حيث إنّها ترفع بالواو المدية أو الضمة الطويلة، وتنصب بالألف المدية أو الفتحة الطويلة، وتجرّ بالياء المدية أو الكسرة الطويلة، وذلك في حالة الإضافة، وتفقد الإعراب بهذه العلامات الفرعية عندما تفقد شرط الإضافة، فإنها تعرب عندئذ بالعلامات الأصلية، أي: بالضمة، والفتحة والكسرة."[87]

ب-المنصوبات والمجرورات بحيث تكون العلامة الإعرابية هي الياء في الجمع في نحو: شاهدت اللاعبين والمثنى في نحو: راجعت الدرسين.

"يعرب المثنى في اللغة العربية بالعلامات الفرعية، فيرفع بالألف وينصب ويجرّ بالياء غير المدية أو شبه الحركة اليائية التي تختلف اختلافا صوتيا بيّنا عن ياء النصب والجرّ التي تكون في جمع المذكر السالم. ولكنهما تلتقيان في الوظيفة النحوية التركيبية."[88]

تكون الياء علامة جرّ في المثنى في نحو: قرأت في الكتابين، وفي جمع المذكر السالم في نحو: خرجت مع المحاضرين، وفي الأسماء الخمسة، في نحو: تعلّم من أبيك.

يقول أحد الباحثين المحدثين: "...فالألف المدية تكون علامة للرفع في حالة الاسم المثنى (الرجلان جاءا) ولكنها تكون علامة للنصب في الأسماء الخمسة، وهو المنتظر، لأن الألف المدية هي الفتحة المشبعة، ولما كانت الفتحة علامة للنصب ضمن العلامات التي عدت أصلية، فإنّنا ننتظر أن تكون علامة النصب الفرعية، ولم يكن أمر صفاتهما بغائب عن النحاة العرب القدماء"[89]، وممّا سبق نجد أنّ:

الفتحة: هي الحركة الخفيفة عند النحاة وهي خاصة بالمفعولية أي المفعول أو المشبّه بالمفعول به، أو المحمول على المفعول به، وتظهر علامة جرّ في الأسماء الممنوعة من الصرف في ظروف معينة، وذلك إذا لم تكن الكلمة المجرورة مضافة وكانت تحتوي على شروط معينة.

الكسرة: للكسرة في العربية عدة وظائف، فهي حركة الجرّ الأصلية للأسماء المفردة المجرورة بالإضافة أو بحرف الجر ما لم تكن ممنوعة من الصرف حيث تجر بالفتحة نيابة عن الكسرة، والفتحة حركة جرّ ونصب معا لجمع المؤنّث السالم.

أما الضمة فهي أثقل الحركات الإعرابية عند النحاة، ومع هذا فقد عدّت العمدة في العملية الإسنادية وتركيب الجمل.

الخاتمة:

إنّ الحركات من أولى العناصر التي انتبه إليها علماء اللغة العربية المتقدّمون، وإلى الدور الذي تؤديه في التركيب، لقد اعتنوا بها، ووضّحوا عبر الأمثلة أنّها نوعان طويل وقصير، ثمّ بيّنوا أنّ العلاقة بين هذين الصنفين هي علاقة كميّة، فالحركات القصيرة هي أجزاء وأبعاض للحركات الطويلة، وقد أوردنا أمثلة يتّضح من خلالها كيف تتنشّأ عنها، وكيف تنسب تلك الحركات الأقصر التي تظهر في الاختلاس وفي الإشمام والروم والإمالة ممّا قرئ به القرآن الكريم وتكلّمت به بعض القبائل العربية إلى الحركات التي هي أنصاف حروف المدّ واللين، وبالرغم من دقّة النتائج التي توصل إليها المتقدّمون إلا أنّ المحدثين يرون أنّ "الحركات كانت صعبة الوصف على اللغويين الأوائل وأن التصوير بأشعة إكس هو أفضل سبيل لبيان كيفية نطق العلل (الحركات)[90]، مع أنّ (ابن سينا) قال عنها في رسالته: "ثمّ ليس أمر هذه الثلاثة (أي: الألف المصوتة، والياء المصوت، والواو المصوّتة) عليّ مشكل"[91].

ولقد استعان الباحث سلمان العاني في وصف الحركات على المادة الملفوظة مدعمة برسومات أشعة إكس x-ray tracings والأحكام الذوقية ومجسمات الاسبكتروجراف.[92] وانتهى إلى القول: "ويظهر أنّ الاختلاف بين الفتحة القصيرة ونظيرتها الطويلة ليس اختلافا كميّا فحسب ولكنه اختلاف نوعي كبير." [93]

"وكذلك فقد فحصت الحركات الست منفردة فسيولوجيا فقد أعدّت رسومات لمواقع اللسان عند نطق كلّ حركة. ووضعت كلّ حركة قصيرة مع نظيرتها الطويلة على تسجيل واحد – ... ومما يلاحظ في هذه التسجيلات أن اختلافات طفيفة بين الحركات القصيرة والطويلة."[94]

"ويلاحظ كذلك أن الامداء النسبية relative durations للحركات تتضاعف وهي مفردة عمّا هي عليه وهي في الكلام المتتابع، كما أنّ الحركات الطويلة تبدو ضعف طول الحركة القصيرة في أي الموضعين، ويرجّح أن يكون هذا لأنّ هذه الحركات المنفردة عادة منبورة stressed وتنطق بعناية."[95]

وهذه الحركات تسند لها وظائف في مقدمتها التمييز بين المعاني، كما تكون علامة إعراب، وتساعد في إثراء اللغة العربية فكلّما تغيّرت حركة عين (فعل) الميزان الصرفي كلّما تحصّلنا على معنى مختلف.

النتائج:

من خلال هذه الدراسة توصّلنا إلى بعض النتائج أهمّها:

1ـ الحركات في العربية نوعان: طويلة هي الألف والياء والواو، وقصيرة تتمثل في الفتحة والكسرة والضمة وهما متّفقان في كلّ شيء مع فارق واحد وهو القصر والطول، ولكن نضيف لها نوعا ثالث قرئ به القرآن الكريم، وظهر عند بعض القبائل العربية وفي أشعارها، هي أقصر من النوع الثاني وهي التي تظهر في الإمالة، والاختلاس، أو الإشمام، أو التفخيم... هي أبعاض من الحركات القصيرة.

2ـ لا اختلاف بين المتقدّمين والمتأخّرين في تعريف الحركات، وفي تبيين العلاقة بين الطويلة والقصيرة.

3ـ الأصوات المديّة الطويلة عالية الوضوح السمعي بالنظر إلى القصيرة وإلى السكنات.

4-عدد الحركات الذي تحدّث عنه اللغويون والنّحاة العرب في محصوله ثلاث طويلة وثلاث قصيرة (الموجودة خارج إطار التركيب)، وهي تفوق هذا العدد إذا انتقلنا إلى التركيب.

5-للحركات دور في تغيير معاني الألفاظ، نحو: الذِّل (بكسر الذال) في الدابة، وهو ضدّ الصعوبة، والذُلّ (بضمّ الذال) للإنسان، وهو ضدّ العزّ.

هوامش البحث:

[1] ـ ينظر: فوزي الشايب: الحركات نقطة الضعف في الدراسات الصوتية عند العرب، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد 20 السنة 2002

[2] -المعجم الوسيط، مطابع الأوفست، ط3/ 1985، جزءان، ج175/1

[3] -ينظر: معجم المعاني – معجم عربي عربي

[4] . الذي ركّز على حركة الشفتين

[5] – أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الرازي (ت 606هـ): مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 / 1420 هـ 48/1

[6] ابن جني: سرّ الصناعة 30/1

[7] . حسام الدين النعيمي: الدراسات الصوتية واللهجية عن ابن جني، ص325

إذا عدنا إلى سرّ صناعة الإعراب نجد ابن جني يقول:"وإنّما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها"

[8] – ابن جني: سرّ صناعة الإعراب 1/ 20

[9] – الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقق: إبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، ط2، ص67

[10] -ينظر: فوزية سرير عبد الله: الحركات العربية دراسة وصفية تطبيقية، مجلة الصوتيات العدد الأول / 2005 ص53

[11] -هناك فرق بين الإشمام في حالة الوقف، الوقف عنه داخل البنية.

[12] . ينظر: ابن جني: سر صناعة الاعراب 56/1

[13] . ابن الخشاب: المرتجل، تحقيق ودراسة علي حيدر، دمشق 1972 ص36

[14] – ينظر: الرازي: التفسير الكبير 43/1

[15] . محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية دراسة حول المعنى وظلال المعنى، منشورات جامعة الفاتح، 1993، ص 255

[16] – ينظر: فوزية سرير عبد الله: الحركات العربية دراسة وصفية تطبيقية ص35

[17] . إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص189

[18] . أبو البقاء: سراج القارئ المبتدئ 18/1

[19] . مخارج الحروف الرئيسية هي: الجوف والحلق واللسان والشفتان والخيشوم، أما المخارج الخاصة فهي التي تتفرع منها المخارج الرئيسية. فالحلق مثلا مخرج رئيسي لثلاثة مخارج فرعية هي: أقصاه، ووسطه، وأدناه.

[20] . ينظر: ابن جني: سرّ صناعة الإعراب، ج1

[21] . سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن، دار التقوى للنشر والتوزيع، ص95

[22] – ينظر: سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن ص95

[23] . ينظر: ابن جني: سرّ الصناعة 8/1

[24] . مجدي إبراهيم: في أصوات العربية، ص04

[25] . ينظر: حلمي خليل: مقدمة لدراسة علم اللغة، ص63

[26] – محمد الصالح الضالع: علوم الصوتيات عند ابن سينا ص116

[27] – ينظر: زيد خليل القرالة: الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2004، ص22

[28] – زيد خليل القرالة: الحركات في اللغة العربية ص19

[29] – زيد خليل القرالة: الحركات في اللغة العربية ص18

[30] – ينظر م.ن

[31] – ينظر: سلماني العاني: التشكيل الصوتي ص23

[32] – سيبويه: الكتاب 176/4

[33] – سيبويه: الكتاب 436/4

[34] –علي عبد الله علي القرني: أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، رسالة دكتوراه، إشراف سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، 2004، ص36

[35] – ابن الجزري: النشر 215/1

[36] – علي عبد الله علي القرني: أثر الحركات في اللغة العربية ص36

[37] – حسن ظاظا: كلام العرب ص9

[38] – سيبويه: الكتاب 435/4

[39] . سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن، ص40

[40] . ينظر: محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا ص253

[41] –ابن جني: سرّ الصناعة 19/1، والخصائص2 /98

[42] . ينظر: ابن جني: سرّ الصناعة 20/1

[43] . هنري فليش: التفكير الصوتي عند ابن جني، ص60

[44] . ابن جني: الخصائص 125/3

[45] . ابن جني: سرّ الصناعة 33/1 وينظر: الرازي: التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420 ، 56/1

[46] – فوزية سرير عبد الله: الحركات العربية دراسة وصفية تطبيقية، مجلة الصوتيات

[47] . هنري فليش: التفكير الصوتي عند ابن جني ص67

[48] . ينظر: ابن جني: سر الصناعة 33/1

[49] . ابن جني: سرّ الصناعة 719/2، والخصائص 352/2

[50] . ابن جني: الخصائص352/2

[51] . ينظر ابن جني: الخصائص 125/3

[52] . ابن جني: الخصائص 121/3

[53] . هنري فليش: التفكير الصوتي ص71

[54] – زيد خليل القرالة: الحركات في اللغة العربية ص35

[55] –سيبويه: الكتاب 4/ 202

[56] – ابن فارس: الصاحبي 173/1

[57] – ينظر: حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها ص71

[58] – ينظر ابن جني: الخصائص 90/1

[59] – محمد صالح الضالع: علوم الصوتيات عند ابن سينا ص116

[60] – ينظر: سيبويه: الكتاب37/4، خ378/1، المنصف 169/1، الرازي: التفسير الكبير 61/1

[61] – ينظر إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ص96

[62] – ينظر الموسوعة الحرة تاريخ التصفح: 18 نوفمبر 2017

[63] . سيبويه: الكتاب 171/1، وابن جني: سرّ الصناعة 719/2، والخصائص 352/2

[64] . سيبويه: الكتاب 28/1

[65] –ابن جني: الخصائص124/2

[66] . ينظر: ابن جني: سرّ الصناعة 26/1

[67] . ينظر: ابن جني: سرّ الصناعة 26/1

[68] . إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص198، ينظر: سلمان العاني: التشكيل الصوتي ص40: الكمية الزمنية في الحركات العربية: تجارب مخبرية حديثة على عينة من طلاب الجامعة الأردنية.

[69] . أبو البقاء: سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط3، 1954 152/1

[70] . ننبّه إلى أنّ الكوفيين يسمون الإشمام روما.

[71] . أبو البقاء: سراج القارئ المبتدئ 152/1

[72] .أبو البقاء: سراج القارئ المبتدئ 154/1

[73] . أبو البقاء: سراج القارئ المبتدئ 125/1

[74] – ينظر: سراج القارئ ص59

[75] . ينظر: محبّ الدين النويري: شرح طيبة النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، جزءان، 159/2

[76] . أبو البقاء: سراج القارئ 332/1

[77] – سيبويه: الكتاب 4/ 202

[78] . عبد الكريم بورنان: الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة باتنة – الجزائر، العدد 23، السنة 2015، ص8

[79] – الرازي: التفسير الكبير57/1

[80] –عبابنة يحي: النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة ص38

[81] – سيبويه: الكتاب 13/1

[82] – ينظر: عبابنة يحي: النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة ص39

[83] . "تختصّ الصيغة بما له دلالة تصريفية والوزن أعمّ يشمل كلّ كلمة قابلة للتصريف" عن وصف اللغة دلاليا ص247

[84] – الرازي: التفسير الكبير 55/1

[85] . عبد الكريم بورنان: الاستبدال الصوتي وأثره الدلالي في العربية، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة باتنة – الجزائر، العدد 23، السنة 2015، ص5

[86] – سيبويه: الكتاب 241/4

[87] – عبابنة يحي: النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة ص60

[88] – عبابنة يحي: النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة ص69

[89] – عبابنة يحي: النحو العربي في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة ص52

[90] – عبد الرحمن أيوب: الكلام إنتاجه وتحليله ص248

[91] – محمد الصالح الضالع: علوم الصوتيات عند ابن سينا ص116

[92] – ينظر: سلمان العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، الرياض، ط1، 1403هـ، ص38

[93] – سلمان العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية ص41

[94] – سلمان العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية ص42

[95] – سلمان العاني: التشكيل الصوتي في اللغة العربية ص38